التنمية البشرية في ضوء السيرة النبوية

(التنمية القيادية والإدارية نموذجاً)

Personality Development in the Light of Al-Sīrah Al-Nabwiyyah: (Leadership and management development)

حامد أشرف همداني*

This research paper deals with the concept of development and the interest of the Prophet (SAW) about up-grading his companions' capabilities in all aspects. It consists of three parts with conclusion. The first part discusses the definition of human development and its most prominent characteristics in Islamic perspective. The second and third parts has focuse on leadership development and management. It also deals with the required skills for each .

This research paper concludes some important findings and recommendations for onward future career of every individual and society under the light of Sīrat Al-Nabi (SAW).

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد خاتم النبيين، وعلى آله وأصحابه أجمعين، وعلى كل من تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد:

فقد عنيت السنة النبوية المطهرة بالعنصر البشري روحاً وفكراً، وعقيدة وسلوكاً، فكانت السامية بروحه، والموجهة لفكره وعقيدته، والمهذبة لأخلاقه وسلوكه. وعنيت بتنمية الإنسان تنمية شاملة؛ ليقوم بالعبء المناط به من استخلاف الأرض وإعمارها، مدركة ما به من مواهب وطاقات، حباه الرحمن إياها. وإن التنمية عملية مجتمعية، ومتطورة ومستمرة، تتحقق من خلال إنسان واع ومثقف ومتجدد على وفق متطلبات واحتياجات المجتمع الذي يعيش فيه وينتمي إليه.

ومن هنا آثرت الكتابة في موضوع **التنمية البشرية في ضوء السيرة النبوية: التنمية القيادية والإدارية نموذجاً** مبتغياً من خلاله إبراز مدى عناية السنة بالطاقات البشرية.

---

* أستاذ بقسم اللغة العربية وآدابها، جامعة بنجاب، لاهور (باكستان).

المبحث الأول: التنمية البشرية: مفهومها وخصائصها من منظور إسلامي

تعريف التنمية البشرية

التنمية من" نما"، وهي بمعنى الرفع والصعود والزيادة.

قال الخليل: "نما الشيء ينموا نُمُوّا، ونَمَى يَنمي نماءً أيضاً. وأنماه الله: رَفَعَهُ، وزاد فيه إنماء"[١].

وعرفها ابن منظور بأنها: تعني "الزيادة. نَمى يَنمي نمْيا ونمي ونماءً زاد وكثر، وأنميت الشيء ونَميته: جعلته ناميا"[٢].

ومن المعلوم أن مصطلح التنمية البشرية مصطلح معاصر تمّ تداوله في العقود الأخيرة من القرن العشرين، ولم يزل يحتاج إلى دراسات تبيّن معناها الكامل.

وقد عرّفه د .عبد الكريم بكار بقوله: "التنمية عبارة عن تحريك عملي مخطط لمجموعة من العمليات الاجتماعية والاقتصادية من خلال عقيدة معينة لتحقيق التغيير المستهدف بغية الانتقال من حالة غير مرغوب فيها إلى حالة مرغوب فيها"[٣].

وعرفها العسل بأنها: "العمليات المقصودة التي تسعى إلى إحداث النمو بصورة سريعة في إطار خطط مدروسة وفي حدود فترة زمنية معينة"[٤].

واشتملت تقارير التنمية البشرية للأمم المتحدة التي صدرت منذ مطلع التسعينيات على مفاهيم للتنمية البشرية، فأكدت أنها "عملية تهدف إلى زيادة القدرات المتاحة أمام الناس، ومع كون هذه الخيارات غير محدودة، فإنه يمكن تمييز ثلاثة خيارات مهمة تتمثل في ضرورة أن يحيا الناس حياة طويلة خالية من العلل، وأن يكتسبوا المعرفة، ويحصلوا على الموارد اللازمة

---

١. أبوعبد الرحمن خليل بن أحمد الفراهيدي، العين، تحقيق، مهدي المخزومي، وإبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، مصر، ج ٨، ص ٣٨٤– ٣٨٥.

٢. ابن منظور، لسان العرب، دار صادر بيروت، ٢٠٠٢م، ج ٥، ص ٣٩٨.

٣. عبد الكريم بكار، مدخل إلى التنمية المتكاملة، دار القلم، دمشق، الطبعة الأولى ١٩٩٩م، ص ٩.

٤. إبراهيم حسين العسل، التنمية في الفكر الإسلامي (مفاهيم – عطاءات- معوقات- أساليب)، مؤسسة مجد الجامعية للدراسات، بيروت، الطبعة الأولى ٢٠٠٦م، ص ٢٣.

لتحقيق مستوى حياة كريمة"، ثم تمتدّ هذه الخيارات حتى تستوعب الحريات السياسية والاقتصادية والاجتماعية واحترام حقوق الإنسان[١].

خصائص التنمية الإسلامية

التنمية الإسلامية لها خصائص تميّزها عن غيرها من التنمية البشرية كافة، نجملها على الوجه الآتي:

١- **الربانية**: فهي موحى بها من الخالق، حيث إنها قائمة على ربط الإنسان بأهدافه العليا التي خلق من أجلها، وهي عمارة الأرض والاستخلاف بها لتحقيق مبدأ العبودية والارتقاء بالإنسان فكراً وروحاً وعقيدة[٢].

٢- **التغيير**: بالرغم من الثبات، فهناك التطور العام في الكون والمجتمعات في حدود تطور الفروع لا الأصول. لأن هذا في الحقيقة والواقع هو مجال التطور لا غيره. والإسلام يعترف بهذا ويدعو إليه من خلال دعوته إلى اكتشاف قوانين الحياة وتسخيرها لسعادته وتطوير حضارته. ومن أجل مراعاة التغيير في الحياة فسح المجال الكبير أمام العقل الإنساني أن يتحرك ويجتهد في داخل الضوابط العامة التي تشكل المحور الثابت المذكور من قبل[٣].

٣- **الشمول**: التنمية الإسلامية ليست منبثقة من تفكير الإنسان المحدود بالزمان والمكان والمصلحة، بل هي تستند إلى الله خالق الوجود، وبهذا لا يجد الإنسان نفسه تائهاً حائراً مقطوعاً عما حوله، بل يشعر براحة في قلبه وعقله. لأنه يرد خيوط الكون كلها إلى دوائر رقابته وهيمنته سبحانه وتعالى، ولايعطي الإنسان لعقله القاصر المجال اللانهائي في الحركة الكونية، كي لا يتيه ويضل فيلجأ إلى الخيال أو ينتهي إلى الحيرة والجنون، وبهذا كله ينتقل الإنسان إلى الشمولية؛ لأن الحياة وحركتها تتحول إلى سلسلة من العبادة المتلاحقة لله الخالق رب العالمين[٤].

---

١. أسامة العاني، المنظور الإسلامي للتنمية البشرية، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، أبوظبي، ٢٠٠٢م، ص ١٣.

٢. سماح طه أحمد الغندور، التنمية البشرية في السنة النبوية، رسالة ماجستير في الحديث الشريف وعلومه من كلية أصول الدين في الجامعة الإسلامية بغزة ١٤٣٢هـ/ ٢٠١١م، ص ٥.

٣. محسن عبدالحميد، منهج التغيير في الإسلام، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى ١٩٨٣م، ص ١٧، ٥٥.

٤. أسامة عبدالمجيد العاني، المنظور الإسلامي للتنمية البشرية، ص ٣٠-٣٦.

٤- التوازن: يتجلى هذا التوازن بين إرادة الله الخالقة للإنسان التي اقتضت خلقه للإنسان وقدرته على الفعل وبين إرادة الإنسان، كي يثبت اختياره، فتتحدد مسئوليته، فيرتفع التناقض المزعوم بين الإرادتين، وكذلك بين شعور الإنسان بالألم وبين شعوره بالجزاء الدنيوي والأخروي، وبين عبودية الإنسان المطلقة لله ومقام الإنسان الكريم في الكون، فيتحقق وجود الإنسان دون أن يتحول إلى إله[١]، فتأتي التنمية البشرية، فتحقق له التوازن بين نزعاته ورغباته من غير إفراط أو تفريط.

٥- الإيجابية: وتظهر إيجابية التنمية البشرية من حيث عناية الله بخلقه، وتدبيره للوجود كله بقدرة كاملة وعلم محيط، وهذه الخاصية تمد البشرية بالمشاعر الأخلاقية وموازينها كافة، وأما المحور الثاني لذلك فيتجسد عن إيجابية الحياة الإنسانية التي تتحرك لتحقق مدلولها في صورة عملية مؤثرة فاعلة في ذات نفسه وفي الكون من حوله، عناية الله ترعاه، ولذلك فإنه لا يعرف القعود والسلبية، بل يحاول التغيير المستمر ليحقق ذاته المؤمنة[٢].

٦- الواقعية: التنمية البشرية تتعامل مع الحقيقة الإنسانية متمثلة في الأفراد كما هم في عالم الواقع، ويتعامل مع طبيعة الإنسان، وطبيعة الظروف التي تحيط بحياته في الكون، في حدود فطرته واستعداداته وطاقاته وفضائله ورذائله وقوته وضعفه، فلا يسوء به الظن، ولا يحتقر دوره في الأرض، ولا يهدر قيمته ولا يرفعه إلى مقام الألوهية في صفة من صفاته[٣].

المبحث الثاني: التنمية القيادية في ضوء السيرة النبوية

القيادة ظاهرة اجتماعية لابد منها فلا تستقيم حياة المجتمع دون وجود قيادات في مستوياتها العليا أو الدنيا، فالوجود المشترك لشخصين أو أكثر يخلق نوعاً من الافتقار إلى من ينظم العلاقات القائمة بينهم.

ولقد قرر الإسلام هذه الحقيقة، بل جعلها من الواجبات المحتمات على الأمة عامة، حتى ولو كانت في مجموعة صغيرة جداً، قال النبي صلى الله عليه وسلم : (إذا خرج ثلاثة في سفر فليؤمروا أحدهم)[٤].

---

١. محمد قطب، مناهج التنمية الإسلامية، دار إحسان للنشر والتوزيع، طهران، الطبعة الثالثة ٢٠٠٣م، ص ٤١.
٢. عبد الرحمن توفيق، دور المنهج الإسلامي في تنمية الموارد البشرية، القدس، فلسطين، الطبعة الرابعة ٢٠٠٦م، ص ٥٦.
٣. عبد الله النور، تنمية الموارد البشرية، مجلة الإسلام اليوم، العدد ١٣، الرباط، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م، ص ١٠٦.
٤. أبوداود سليمان بن الأشعث السجستاني، السنن، تحقيق، محمد محي الدين عبدالحميد، كتاب الجهاد، باب في القوم يسافرون يؤمرون أحدهم، المكتبة العصرية، صيدا بيروت، لبنان رقم الحديث ٣٦٠٨.

ولقد كرم الإسلام القائد خير تكريم ووضعه في أسمى منزلة، فحق القائد في الطاعة وارد ومقرر في أكثر من آية في كتاب الله. قال تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ ۖ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾[1].

إن مهمة إيجاد القائد هي مهمة تربوية في المقام الأول، فالتربية المتكاملة مع حسن الانتقاء والاختيار، لهما الأثر الأكبر في صناعة القيادات ووضع الأساس واللبنة الأولى لانطلاقها. ولقد وضح ذلك جلياً في سيرة النبي صلى الله عليه وسلم حيث ربي النبي ﷺ جيلاً قائداً قاد العالم إلى ما فيه خير الدنيا والآخرة.

حيث قال: "إن هذا الجيل من كبار القادة الذي صاغه نبي الهدى عليه الصلاة والسلام، هو الذي نقل روح النبوة وهديها إلى كل أرجاء الوجود، فحكم بهذا الهدي وأضاء الوجود بهذا النور. إنه جيل قيادي قد عز نظيره في التاريخ، لأنه تربى بكتاب الله وآياته، وتربى برسول الله ﷺ ومصطفاه من خلقه. فمن عنده مثل هذا المعهد؟! ومن عنده مثل هذه المدرسة، فليطلع لنا قرنه؟!"[2].

وفيما يلي بيان لأهم ملامح التنمية القيادية في ضوء السيرة النبوية:

أولاً: إعداد القادة

إن عملية صناعة القائد، ووجود القائد الناجح على رأس عمل؛ أمر من الأهمية بمكان، بل هو محور رقي الأمة وتقدمها في ميادين شتى، والمنطلق الأول الذي تنطلق منه التنمية القيادية الصحيحة هو إعداد القادة، والعمل على صياغتهم، ومن يتتبع هدي النبي صلى الله عليه وسلم وتعاليمه الشريفة يجد أن النبي صلى الله عليه وسلم قد أولى اهتماماً كبيراً بتكوين الطليعة الأولى لقيادة هذه الأمة، وقد هيأ الله له من المعرفة والتسديد من استطاع به أن يغير معالم هذا العالم من خلال تربية متميزة.

---

١. سورة النساء، ٥٩.

٢. منير الغضبان ، التربية القيادية، دار الوفاء، المنصورة، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٥م، ج ١، ص ٩.

ولقد كان منهج النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك ينقسم في نظر الباحث إلى قسمين هما:

أ. **مرحلة التربية**

إن التربية المتزنة إذا صادفت محلاً قابلاً وأرضاً خصبة، أثمرت نتاجاً طيباً من قيادات واعية على مستوى عال من النضج. ولهذا كانت هذه المرحلة مبنية على المرحلة السابقة ومكملة لها، وكلما كان الانتقاء من عناصر متميزة كانت التربية متميزة، فقد قال صلى الله عليه وسلم: (الناس معادن، خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقهوا)[1].

وقد سلك النبي صلى الله عليه وسلم في هذا المجال الأساليب التالية:

١- التربية الجادة: لقد نهج النبي صلى الله عليه وسلم مع القادة التربية على معالي الأمور، فإن كان هناك موطن صبر فالقادة هم أول من يصبر، وإن كان موطن شجاعة فمن يربيهم على القيادة هو رأس الناس فيها. عن عتبة بن غزوان رضي الله عنه في حديث له: (ولقد رأيتُني سابع سبعة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، ما لنا طعام إلا ورق الشجر حتى قرحت أشداقنا، فالتقطت بردة فشققتها بيني وبين سعد بن مالك فاتزرت بنصفها واتزر سعد بنصفها، فما أصبح اليوم منا أحد إلا أصبح أميراً على مصر من الأمصار، وإني أعوذ بالله أن أكون في نفسي عظيماً وعند الله صغيرا[2])[3].

---

١. محمد بن إسماعيل البخاري، الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه والمشهور بالجامع الصحيح، تحقيق، محمد زهير الناصر، كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله تعالى، ﴿لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ﴾، دار طوق النجاة، لبنان، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ، رقم الحديث ٣١٣١.

٢. مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، الجامع الصحيح، تحقيق، محمد فؤاد عبدالباقي، كتاب الزهد والرقاق، دار إحياء التراث العربي، بيروت، رقم الحديث ٥٢٦٨.

٣. محمد أمحزون، منهج النبي صلى الله عليه وسلم في الدعوة من خلال السيرة الصحيحة، دار السلام، القاهرة، الطبعة الثالثة ٢٠٠٦م، ص ٢٢٤.

فإذا كانت التربية على الأزمات تلزمها بعض الصفات من صبر وإيمان وأخلاق، فالقائد لابد أن يكون أعلى من غيره في التربية على هذه الأمور. ولعل هناك من يرى أن القائد لا يحتاج إلى تربية خلقية وتزكية نفس بقدر ما يحتاج إلى مهارات في أساليب إدارية وطرق سياسة الناس؟!

ولكن قد يصح هذا المعنى في غير أمة الإسلام، ولهذا يقول أبوالحسن الندوي رحمه الله في خصائص القيادة في الإسلام: "إنهم لم يتولوا الحكم والقيادة بغير تربية خلقية وتزكية نفس، بخلاف غالب الأمم والأفراد ورجال الحكومة في الماضي والحاضر، بل مكثوا زمناً طويلاً تحت تربية محمد صلى الله عليه وسلم وإشرافه الدقيق يزكيهم ويؤدبهم ويأخذهم بالزهد والورع والعفاف والأمانة والإيثار على النفس، وخشية الله وعدم الاستشراف للإمارة والحرص عليه"[1].

٢- القدوة الحسنة في القيادة: من أهم واجبات القائد أن يكون قدوة حسنة لمرؤسيه، فيلزم نفسه قبل غيره بالسلوك القويم، والالتزام بما يتطلبه عمله من صبر وأمانة وتضحية، وأن يكون قوله وسلوكه مطابقاً لما أنزل الله التزاماً بقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ۝ كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفۡعَلُونَ﴾[2].

وكان الرسول صلى الله عليه وسلم هو القدوة الحسنة لكل قائد جاء، ولهذا كان عليه الصلاة والسلام لا يأمر صحابته بأمر حتى يكون أول العاملين به.

٣- استكشاف وتوجيه الإمكانات والقدرات القيادية: إن اكتشاف القيادات المهارية وتفعيلها مهمة ليست بالسهلة، بل تحتاج إلى مُربٍ صاحب نباهة وعلم بالرجال.

فهذا النبي صلى الله عليه وسلم يؤمّر عمرو بن العاص رضي الله عنه على جيش، فيه أبو بكر و عمر و أبو عبيدة، وفيه قادة الأنصار عباد بن بشر وسعد بن عبادة وأسيد بن حضير رضي الله عنهم، ولم يكن بين إسلامه وتوليه القيادة إلا خمسة أشهر[3].

---

١. أبوالحسن الندوي ، ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين، مكتبة نزار الباز، مكة المكرمة، ١٩٩٧م، ص ٨٣.

٢. سورة الصف، ٢-٣.

٣. منير الغضبان، عمرو بن العاص رضي الله عنه الأمير المجاهد، مركز بحوث الدراسات الإسلامية مكة المكرمة، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م، ص ١٧١.

ومن ذلك تكليفهم المهمات الصعبة والتي لا يستطيعها إلا من توفرت لديه صفات القيادة من الحنكة والشجاعة.

قال عبدالله بن أنيس رضي الله عنه: دعاني رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إنه قد بلغني أن خالد بن سفيان بن نبيح يجمع لي الناس ليغزوني وهو بنخلة أو عرنة فأته فاقتله) فقلت: "يا رسول الله صفه لي حتى أعرفه"، قال: "آية ما بينك وبينه أنك إذا رأيته هبته وفرقت منه ووجدت له قشعريرة وذكرت الشيطان).

(قال عبدالله: وكنت لا أهاب الرجال، فقلت: "يا رسول الله ما فرقت من شيء قط." فقال: "بلى، آية ما بينك وبينه ذلك أن تجد له قشعريرة إذا رأيته، فأتاه فقتله[1])[2].

ولقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يحرص كل الحرص في اختيار القادة أن يكلف كل قائد بالعمل الذي يناسبه، فقد يكون من ضمن من يقودهم من هو خير منه في كثير من النواحي، لكن حرص النبي صلى الله عليه وسلم على أن يجعل القائد هو من يملك القدرة على القيام على المهمة المحددة.

فعن ابن إسحاق قال: حدثنا يونس عن أبي معشر عن بعض مشيختهم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (إني لأؤمر الرجل على القوم فيهم من هو خير منه؛ لأنه أيقظ عيناً وأبصر بالحرب)[3].

ويقول عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: (بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثاً، وأمّر عليهم أسامة بن زيد رضي الله عنه)[4]. وكان هذا منه صلى الله عليه وسلم في

---

١. أحمد بن حنبل، المسند، مسند المكيين، رقم الحديث ١٥٤٦٩.

٢. منير الغضبان، التربية القيادية، ص ٤٥٦.

٣. منير الغضبان، عمرو بن العاص رضي الله عنه الأمير المجاهد، ص ١٥١.

٤. البخاري، الجامع الصحيح، كتاب الأيمان والنذور، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم "وأيم الله"، رقم الحديث ٦٦٢٧.

آخر حياته، حيث جهّز جيشاً، وأمّر عليه حبه وابن حبه أسامة بن زيد رضي الله عنهما، وكان عمره آنذاك ثماني عشرة سنة[١].

وقد كان هذا التأمير لأسامة رضي الله عنه على الجيش؛ انطلاقاً من مواقفه القتالية السابقة، ومن أشهرها ثباته العظيم يوم حنين.

٤- التعاهد بالتربية والتوجيه وقت القيادة: إن التكليف بالقيادة أو تصدر الشخص لها لا يعني الاستغناء عن التوجيه والتربية والتسديد.

فلقد كان منهج النبي صلى الله عليه وسلم مع صحابته رضي الله عنهم في توليتهم للقيادة أن يعلمهم ما ينفعهم قبل القيادة والتسديد لهم أثناءها، فهذا أسامة بن زيد رضي الله عنه يبعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى قتال قوم، يقول: (بعثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الحرقة، فصبحنا القوم، فهزمناهم، ولحقت أنا ورجل من الأنصار رجلاً منهم، فلما غشيناه، قال: لا إله إلا الله، فكف الأنصاري، فطعنته برمحي حتى قتلته، فلما قدمنا بلغ النبي صلى الله عليه وسلم، فقال: "يا أسامة، أقتلته بعد ما قال لا إله إلا الله"، قلت: كان متعوذاً، فما زال يكررها حتى تمنيت أني لم أكن أسلمت قبل ذلك اليوم)[٢].

٥- التربية على عدم التعلق بإمارة: يقول النبي صلى الله عليه وسلم: "إنا والله لا نولي على هذا العمل أحدا سأله، ولا أحداً حرص عليه"[٣].

وكان عليه الصلاة والسلام يربي أصحابه على التعلق بما عند الله، فكان صحابته رضوان الله عليهم لا يتهافتون على الوظائف والمناصب تهافت الفراش على الضوء، بل كانوا

---

١. أبو عبدالله محمد بن أحمد بن قايماز الذهبي، سير أعلام النبلاء، تحقيق، شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٩٨٥م، ج ٤، ص ١٠٩.

٢. البخاري، الجامع الصحيح، كتاب المغازي، باب بعث النبي صلى الله عليه وسلم، رقم الحديث ٣٩٣٥.

٣. مسلم، الجامع الصحيح، كتاب الإمارة، باب النهي عن طلب الإمارة والحرص عليها، رقم الحديث ٣٤٠٢.

يتدافعون في قبولها ويتحرجون من تقلدها، فضلاً عن أن يرشحوا أنفسهم وينشروا دعاية لها، وينفقوا الأموال سعياً وراءها، فإذا تولوا شيئاً من أمور الناس لم يعدوه مغنماً أو طعمة أو ثمناً لما أنفقوا من جهد أومال، بل عدّوه أمانة في عنقهم وامتحاناً من الله، ويعلمون أنهم موقوفون عند ربهم ومسؤولون عن الدقيق والجليل[1].

ب. مرحلة الانتقاء والاصطفاء

فكان عليه الصلاة والسلام يحرص على من توفرت فيهم الإمكانات الذاتية للقيادة، ويمكن تلخيص هذه الصفات في النقاط التالية:

١- الإمكانات العقلية: فالقائد لابد أن يكون لديه مقدرة على تحليل الأمور واتخاذ الرأي الصائب، ويتضح هذا المعنى من موقف خالد بن الوليد وعمرو بن العاص رضي الله عنهما بعد عمرة القضاء.

يقول عباس العقاد: "... وحسبك أن عمرة القضاء هذه قد جمعت في آثارها أسباب الإقناع بالدعوة المحمدية ما أقنع خالد بن الوليد وعمرو بن العاص رضي الله عنهما، وهما في رجاحة العقل والخلق مثلان متكافئان"[2].

وهذا الذي قاله عليه الصلاة والسلام لخالد بن الوليد رضي الله عنه عند ما جاءه مسلماً: (الحمد لله الذي هداك! قد كنت أرى لك عقلاً رجوت ألا يسلمك إلا إلى خير)[3].

٢- المكانة الاجتماعية وقوة التأثير: فهذا النبي صلى الله عليه وسلم يحرص على دعوة كبار قريش أشد الحرص، حتى كان ابن أم مكتوم رضي الله عنه يأتيه فينشغل عنه النبي صلى الله عليه وسلم فينزل عليه: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ۝١ أَن جَآءَهُ ٱلۡأَعۡمَىٰ ۝٢ وَمَا يُدۡرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ ۝٣ أَوۡ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكۡرَىٰٓ ۝٤﴾[4].

---

١. أبو الحسن الندوي، ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين، ص ٨٤.

٢. عباس محمود العقاد، عبقرية محمد، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، مصر، ٢٠١٢م، ص ٥٨.

٣. أبوالفداء إسماعيل بن عمر ابن كثير، السيرة النبوية (من البداية والنهاية لابن كثير)، تحقيق، مصطفى عبدالواحد، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ١٣٩٥هـ/ ١٩٧٦م، ج ٣، ص ٤٥٣.

٤. سورة العبس، ١-٤.

ويتضح أيضاً من دعاء النبي صلى الله عليه وسلم، كما روى الإمام أحمد في فضائل الصحابة عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (اللهم أعز الإسلام بأحب هذين الرجلين إليك بأبي جهل أو بعمر بن الخطاب)[1]، فكان أحبهما إلى الله عمر بن الخطاب رضي الله عنه[2].

وهذه الصفة ضرورية تميّز سلوك القائد عند اتصاله مع الأفراد والجماعات وتعامله معهم، فيستطيع التأثير فيهم كي يوجّههم إلى ما فيه صلاحهم[3].

٣- القدرة الجسمية: إن عمل القائد يتطلب بذل الجهد والحركة، وقوة التحمل، والعمل لساعات متصلة تحت ظروف الضغط في كثير من الأحيان، والاحتفاظ بروح التحمس للعمل، والتماسك في المواقف العصيبة[4].

وهذا يقتضي سلامة الحواس من السمع والبصر واللسان، حتى لا تتعطل أو تنقص درجة الإتصال مع الغير، مع أن هذه القدرة الجسمية ليست على إطلاقها، فقد توجد لدى القائد من الحماسة والصدق والفهم والرغبة ما يعوض بعض هذا النقص.

ثانياً: تنمية مهارة اتخاذ القرار

من مستلزمات القيادة الناجحة، وعلاماتها الفارقة بين القائد النجيب وغيره، هي مدى قدرة هذا القائد على اتخاذ القرار المناسب، وفي الوقت المناسب.

ومن صور اهتمام النبي صلى الله عليه وسلم في تربية الصحابة الكرام قيادياً، أنِ اهتم بتنمية قدراتهم ومهاراتهم في اتخاذ القرار، فكان صلى الله عليه وسلم لا يتوانى أبداً عن مشاورة أصحابه

---

١. أحمد بن حنبل الشيباني، المسند، تحقيق، شعيب الأرنؤوط وعادل مرشد وآخرون، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى ٢٠٠١م، مسند المكثرين من الصحابة، رقم الحديث ٥٤٣٧.

٢. علي الصلابي، السيرة النبوية عرض وقائع وتحليل أحداث، دار الإيمان الإسكندرية، ٢٠٠٢م، ص ٥٤٨.

٣. سيد عبدالحميد موسى، مفهوم القيادة في إطار العقيدة الإسلامية، سلسلة دعوة الحق، رابطة العالم الإسلامي، العدد ٥١، جمادى الآخرة، ١٤٠٦هـ، ص ٦٨. بتصرف.

٤. سيد عبدالحميد موسى، مفهوم القيادة في إطار العقيدة الإسلامية، ص ٦٩.

في دقّ الأمور وجلّها، منطلقاً في ذلك من قوله تعالى: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾[1]. وذلك لما للمشاورة من أثر في تنمية قدراتهم على اتخاذ القرار، "حيث تنمو لديهم قوة الشخصية التي تؤهلهم للاضطلاع بحمل المسؤوليات والتبعات الملقاة عليهم"[2]، ومن فوائدها أيضاً تأليف قلوب أصحابه، وليقتدي به من بعده، وليستخرج بها منهم الرأي فيما لم ينزل فيه وحي"[3]، وبهذا تكون المشاورة بمثابة تدريبٍ عملي على مهارة اتخاذ القرار.

لقد أشعرت هذه المشاورات من النبي صلى الله عليه وسلم للصحابة رضي الله عنهم، أن القضية قضيتهم، والقرار قرارهم مما يجعلهم يدافعون عن أمرٍ قد اقتنعوا به، ويذبون عن مبدأ ملك قلوبهم وأفئدتهم، فيبذلون كل غالٍ ونفيسٍ في سبيل نصرته.

ثالثاً: تنمية تعزيز الثقة بالقادة

إن ثقة الجند بمن يقوده ويتولى أمره، يلعب دوراً مهماً في نجاح القائد، وثباته في موقعه، فوجود هذه الثقة يؤدّي إلى الرضى بقراراته، والاستجابة لمطالبه، وتطبيق تعليماته، وبانعدامها لايستقيم للقائد أمر بين أتباعه، فالقيادة إذًا أساس لاستقرار الأمة ونجاحها، وصلاح الأمة في صلاح القيادة، وفسادها في فسادها.

لهذا سعى النبي صلى الله عليه وسلم إلى تطبيق مبدأ تعزيز الثقة بالقادة بين أصحابه رضي الله عنهم، وتنميته عندهم بصورة أكبر، حيث أكّد صلى الله عليه وسلم على أهمية السمع والطاعة للقائد، بل جعلها ركناً ركيناً في قيام الأمر وتمامه، فيقول: (من أطاعني فقد أطاع الله، ومن عصاني فقد عصى الله، ومن أطاع أميري فقد أطاعني، ومن عصى أميري فقد عصاني)[4].

---

١. سورة آل عمران، ١٥٩.

٢. محمد أمحزون، منهج النبي صلى الله عليه وسلم في الدعوة من خلال السيرة الصحيحة، ص ١٥١.

٣. أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني، السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية، وزارة الأوقاف بالسعودية، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ، ص ١٢٦.

٤. البخاري، الجامع الصحيح، كتاب الأحكام، باب قول الله تعالى، ﴿أطيعوا الله والرسول...﴾، رقم الحديث ٧١٣٧.

وقد ألمح النبي صلى الله عليه وسلم في أكثر من موقف إلى أهلية أبي بكر رضي الله عنه بالخلافة من بعده، وعزز من ثقة الناس به. ويدل عليه قول النبي صلى الله عليه وسلم في قصة راعي الغنم: (فإني أومن به وأبوبكر وعمر)[1].

وتنتقل الإشارة من النبي صلى الله عليه وسلم من الكلام النظري إلى التطبيق العملي، حيث قام النبي صلى الله عليه وسلم بتفويض أبي بكر الصديق رضي الله عنه بكثيرٍ من الأمور، وإحالة الحكم له، لتعزيز الثقة به أكثر، فعن جبير بن مطعم رضي الله عنه قَال: أتت امرأة النبي صلى الله عليه وسلم فأمرها أن ترجع إليه قالت: أرأيت إن جئت ولم أجدك، كأنها تقول الموت، قال صلى الله عليه وسلم: (إن لم تجديني فأتي أبابكر)[2].

رابعاً: تفويض المهام والسلطات

لقد ظهرت المقدرةُ القياديةُ للرسول صلَّى الله عليه وسلَّم في مَجالاتٍ عِدَّة، منها مجال التخطيط والتنظيم للدعوة الإسلامية في المجتمع المكي والمجتمع المدني، وما قام به مِن المؤاخاة بين الأنصار والمهاجرين، وإبرامِ الاتِّفاقِيَّات والعهود مع غير المسلمين، وكذلك أسلوبه الفريد تجاه المؤلَّفة قلوبُهم وبذْله العطايا والصدقات؛ لجذبهم للإسلام، كما يتجلى أسلوبه القيادي في استقبالِه وُفودَ العرب وإكرامه لهم في سبيل إقناعهم وجذبهم للدعوة، وموقفه القيادي النبيل من صلح الحديبية، وما أظهره من اللِّين والتحمُّل والصبر في سبيل حقن الدِّماء؛ حيث كان لهذا الصلحِ المردودُ الطيب والإيجابي على الدعوة الإسلامية؛ حيث اختلط المشركون بالمسلمين، وتعرَّفوا على أسلوبِهم في الحياة، وعلى إيمانهم بقضيتهم وبرسولهم؛ مما دفع الكثيرَ من المشركين للدخول إلى الإسلام حتى قبل أن يتم فتح مكة.

ولقد كانت قيادةُ الرسول صلَّى الله عليه وسلَّم في تعيين الوُلاة في غايةِ الدقة؛ حيث يَختارهم من الأشخاص الذين يتمتَّعون بالخُلق القويم وسَعة العلم، وعلى درجة من الكفاءة والجدارة؛

---

١. البخاري، الجامع الصحيح، كتاب فضائل أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، باب عمر، رقم الحديث ٣٦٩٠.

٢. البخاري، الجامع الصحيح، كتاب المناقب، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم، لو كنت متخذاً خليلاً، رقم الحديث ٣٦٥٩.

لهذا نجد أنَّ اختيارَ القادة في فجر الإسلام كان يقوم على الاستقامة والقدرة والنزاهة، وكما ذكر سابقًا، فالقيادة الإسلامية تقوم على مبدأ الشورى؛ التزامًا بقولِ الله تعالى: ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾[1]، ولقد طبَّق الرسول صلَّى الله عليه وسلَّم هذا المبدأ في إدارته وقيادته للمسلمين؛ حيث كان يقوم باستشارةِ أصحابه رضي الله عنهم من أهل الرأي والبصيرة.

وقد حرص أشد الحرص على تنشئة مجتمع يشعر بالمسؤولية الملقاة عليه، فينبه جميع أفراد المجتمع إلى دورهم المنشود في رعاية الأمانة الموكلة إليهم، واستشعار المسؤولية المنوطة بهم، فعن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (ألا كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته ...)[2]. فيمنح النبي صلى الله عليه وسلم جميع أفراد المجتمع المسلم صلاحيات كاملة في رعاية الأمانة، وتحمل المسؤولية، للنهوض بالمجتمع والرقي به نحو الكمال.

ومن نماذج تفويض المهام والسلطات تفويض النبي صلى الله عليه وسلم بعض الصحابة رضي الله عنهم بالقيام ببعض الأعمال، كتوكيلهم بإقامة الحد على ماعز رضي الله عنه[3]. واستخلافه ابن أم مكتوم رضي الله عنه على المدينة ليؤم الناس بالصلاة نيابة عنه[4]. ومنح النبي صلى الله عليه وسلم ثلاثة من قادة المسلمين (زيد وجعفر وعبدالله بن رواحة رضي الله عنهم) السلطة التامة في قيادة معركة من أهم معارك المسلمين، حتى نالوا شرف الشهادة في سبيل الله تعالى[5].

---

١. سورة الشورى، ٣٨.

٢. البخاري، الجامع الصحيح، كتاب الأحكام، باب قول الله تعالى، ﴿أطيعوا الله والرسول...﴾، رقم الحديث ٧١٣٨.

٣. مسلم بن الحجاج، الجامع الصحيح، كتاب الحدود، باب من اعترف على نفسه بالزنا، رقم الحديث ١٦٩٤

٤. أبوداود سليمان بن الأشعث، السنن، كتاب الصلاة، باب إمامة الأعمى، رقم الحديث ٥٩٥.

٥. البخاري، الجامع الصحيح، كتاب الجنائز، باب الرجل ينعى إلى أهل الميت بنفسه، رقم الحديث ١٢٤٦.

المبحث الثالث: التنمية الإدارية في ضوء السيرة النبوية

كان على الرسول صلى الله عليه وسلم أن "يربي جيلاً رائداً، يبقى نموذجاً بشرياً يقتدي به ويتأسى بمقوماته وتصرفاته بنو الإنسان على امتداد الزمان، لا لينهضوا بأمتهم العربية فحسب، بل وليجعلوا منها قائداً لركب البشرية وأمم الأرض مع استمرارية مسيرة الحياة"[١]، ولما كانت الإدارة عصب حياة الناس، وعموده الفقري الذي لا تستطيع السير إلا بوجوده، نجد أن النبي صلى الله عليه وسلم قد أولاها اهتماماً بالغاً، فأدارها بحنكة وذكاء أبهر العالم، فجعل ينمي هذه المهارات الإدارية في المسلمين، لينسجوا على نولها، ويسيروا على منوالها.

وفيما يلي بيان لأهم ملامح التنمية الإدارية في ضوء السيرة النبوية:

أولاً: تنمية مهارات فن كتابة التقارير والرسائل

كان الحفظ والاستظهار وسيلة نقل العلوم بين الناس في عصر صدر الإسلام، ثم كانت الفتوحات التي أدخلت الناس في دين الله أفواجاً، فاحتاجوا للكتابة والتقييد[٢]، فسعى النبي الأمّي صلى الله عليه وسلم لتعليم الصحابة رضي الله عنهم أسس حفظ هذا الدين بتوجيه الناس إلى تعلم الكتابة وتعليمها للغير، وقد عزز هذا المبدأ في قضية الأسرى يوم بدر حيث جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم فداء من لم يكن لهم فداء أن يعلموا أولاد الأنصار الكتابة"[٣].

ومن أمثلة تنمية النبي صلى الله عليه وسلم مهارة الكتابة لدى الصحابة رضي الله عنهم: إذنه لبعضهم بالتدوين مع "أن الكتابة كانت في العرب قليلة"[٤]، كإذنه عليه الصلاة والسلام

---

١. أحمد رجب الأسمر، النبي المربي، إربد، دار الفرقان، الأردن، ٢٠٠١م، ص ٧١.

٢. نزار عبدالقادر ريان، الصحيحان أسانيدهما ونسخهما ومخطوطاتهما وطبعاتهما، مكتبة المنارة، غزة، فلسطين، ١٤٢١هـ، ص ٨٩.

٣. أحمد بن حنبل، المسند، رقم الحديث ٢٢١٦.

٤. أبوعبد الله محمد بن سعد بن منيع، الطبقات الكبرى، تحقيق، إحسان عباس، دار صادر، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٦٨م، ج ٣، ص ٤٦٥.

لعبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما بكتابة كل ما يسمعه منه حيث قال: (اكتب فوالذي نفسي بيده ما خرج مني إلا حق)[1].

وتجاوز أمر الكتابة تدوين الكتاب والسنة إلى تعلم اللغات الأخرى وكتابة الرسائل بها، فقد أمر النبي صلى الله عليه وسلم بعض أصحابه بتعلم لغات غير العرب حتى يتم مكاتبة أقوام بلغاتها، فاتخاذ النبي صلى الله عليه وسلم كاتباً كزيد بن ثابت رضي الله عنه، يأمره بتعلم السريانية[2] من أجل المراسلات التي كانت بين النبي صلى الله عليه وسلم وغيره من العرب، وتوكيل هذه المهمة إليه، لدليل على تنمية كتابة الرسائل والتقارير، وضرورة اتخاذ كُتَّابٍ مهرة للقيام بهذه المهمة.

وينمي النبي صلى الله عليه وسلم في صحابته رضي الله عنهم مبدأ كتابة التقارير، للاستناد عليها في معرفة مصالح العباد وتفّقد حاجاتهم، يقول حذيفة رضي الله عنه: (كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: أحصوا لي كم يلفظ الإسلام، قال فقلنا: يا رسول الله! أتخاف علينا ونحن ما بين الست مائة إلى السبع مائة؟ قال: إنكم لاتدرون لعلكم أن تبتلوا، قال: فابتلينا حتى جعل الرجل منا لا يصلي إلا سراً)[3]. وتوضح رواية البخاري معنى الإحصاء بالكتابة ولفظها: "اكتبوا لي من تلفظ بالإسلام من الناس"[4].

---

١. أحمد بن حنبل، المسند، رقم الحديث ٦٥١٠.

٢. أحمد بن حنبل، المسند، رقم الحديث ٢١٥٨٧.

٣. الجامع الصحيح، كتاب الإيمان، باب الاستمرار بالإيمان للخائف، رقم الحديث ١٤٩.

٤. الجامع الصحيح، كتاب الجهاد والسير، باب كتابة الإمام الناس، رقم الحديث ٣٠٦٠.

ثانياً: تنمية مهارات الاتصال بالجماهير

نهج النبي صلى الله عليه وسلم في تربية الأمة وإعدادها على أن تكون قادرة على حسن التواصل مع الآخرين، لما له من أهمية قصوى في بناء جسور الثقة، وتشييد دعائم التفاهم بين الأفراد، فضلاً عن انتقال المعارف والعلوم بينهم، إذ كيف يتم تبادل الخبرات واكتساب ما عند الناس من خير، إلا من خلال إجادة فن التواصل مع الجماهير، لتحقيق أسمى الغايات المنشودة من ورائه، وهو نشر الإسلام في الأمة، وتعريف الناس بمعالمه وتعاليمه.

وبتتبع سيرة النبي صلى الله عليه وسلم، والتماس منهاجه في تبليغ دعوة ربه، نرى أنه غرس عدة مبادئ مهمة لإنجاح التواصل مع الجماهير منها:

١- إظهار القبول والتقدير لمن تحدث: لقد أكّد النبي صلى الله عليه وسلم هذا المفهوم الراقي الذي ينادي به أهل التنمية البشرية المعاصرة في التعامل البديع مع الجماهير، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه: (أن رجلا قال للنبي صلى الله عليه وسلم: إني أحب فلاناً في الله، قال: فأخبرته، قال: لا، قال: فأخبره، فقال: تعلم أني أحبك في الله، قال: فقال: فأحبك الذي أحببتني له)[١].

٢- جودة الإلقاء وحسن العرض وسلامة العبارة: فقد كان من هديه صلى الله عليه وسلم إذا تحدث بحديث تحدث بكلامٍ فصلٍ، يفهم معناه، ويدرك مغزاه وفحواه، ويتضح لسامعه مقصده ومرماه، فعن عائشة رضي الله عنها: (أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يحدث حديثاً لو عدّه العاد لأحصاه)[٢].

٣- حُسن الاستقبال: من علامات نجاح بناء جسور التواصل مع الجماهير حسن استقبالهم ببشاشة الوجه، وطلاقة المحيا، وطيب الكلام، ولين الجانب، فعن أَبِي ذَر رضي الله عنه قال: قال لي النبي صلى الله عليه وسلم: (لا تحقرن من المعروف شيئاً ولو أن تلقى أخاك بوجه طلق)[٣].

---

١. أحمد بن حنبل، المسند، رقم الحديث ١٢٥١٤.

٢. البخاري، الجامع الصحيح، كتاب المناقب، باب صفة النبي صلى الله عليه وسلم، رقم الحديث ٣٥٦٧.

٣. مسلم بن الحجاج، الجامع الصحيح، كتاب البر والصلة والآداب، باب طلاقة الوجه عند اللقاء، رقم الحديث ٢٦٢٦.

٤- احترام الآخرين: جاءت السنة الغراء مراعية لأحوال المخاطبين، وملبية لحاجات نفوسهم، ودعت لهذا الخُلق قبل غيرها، فعن عبدالله رضي الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: (إذا كنتم ثلاثة فلا يتناجى رجلان دون الآخر حتى تختلطوا بالناس من أجل أن يحزنه)[١].

فهذا التقدير الجليل، والاحترام الجم من النبي الإنسان صلى الله عليه وسلم للنفس البشرية، ساعياً من خلاله تربية الصحابة رضي الله عنهم عليه، وتنشئة طلائع الجيل المؤمن على التمسك به، لما يترتب عليه من تأليف للقلوب، وكسب للنفوس، وتطييب لها، مما يؤدّي إلى تعميق أواصر التواصل الفعال مع الأفراد والجماعات. وبانتفاء هذا الخلق في التعامل، ينتفي معه كل تواصل، فالنفس بطبيعتها وجبليتها تأبى التواصل مع من لا يحترم ولا يقدر ذاتيتها البشرية المكرمة.

ثالثاً: تنمية مهارات العمل كفريق

خلق الله تعالى الإنسان اجتماعياً بطبعه، فهو يفضل العمل داخل جماعة، ويسعد بالحياة معها، لهذا كان التوجيه القرآني له بالوحدة والاعتصام داخل الجماعة قال تعالى: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾[٢]، وجعلها ركيزة من ركائز فلاح الأمة وازدهارها. وفي قوله تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى﴾[٣] إشارة صريحة إلى أهمية العمل الجماعي، لما له من تأثير إيجابي على إنتاج الفرد داخل الجماعة يفوق إنتاجه بمفرده.

ولأهمية العمل كفريق جاءت السنة المشرفة تربي الأمة على هذا المبدأ الأصيل، وتزرع في النفوس هذا الخلق الجميل، حتى ربط بألزم أمور الإنسان في حياته، التي ترافقه في ليله ونهاره، ألا وهي صلاة الجماعة، فعنه صلى الله عليه وسلم قال: (صلاة الجماعة تفضل صلاة الفذ

---

١. البخاري، الجامع الصحيح، كتاب الاستئذان، باب إذا كانوا أكثر من ثلاثة ...، رقم الحديث ٦٢٩٠.

٢. سورة آل عمران، ١٠٣.

٣. سورة المائدة، ٢

بسبع وعشرين درجة)[١]. فمن أسرار صلاة الجامعة أنها تدريب عملي على العمل كفريق، وفي عبادة الصيام في رمضان كذلك تدريب عملي على العمل كفريق، إذ المسلمون جميعاً على قلب رجل واحد، يصومون لرؤية هلاله، ويفطرون لرؤيته.

ويعمق النبي صلى الله عليه وسلم أهمية العمل كفريق في نفوس صحابته فيشاركهم العمل في الخندق[٢].

رابعاً: تنمية مهارات التفاوض

أصبح التفاوض علماً مستقلاً بذاته له مدرسته ورواده، ذلك لدخوله في جميع مناحي الحياة الإنسانية، و"لضرورته وحتميته، سواء كان هذا التفاوض بين الأفراد أو الدول، فما من مطلب إلا وأصبحت تستدعي الضرورة أن يسير الإنسان في اتجاه التفاوض، ومن زاوية الحتمية فنجد أن علم التفاوض يستمد حتميته من كونه المخرج المؤدي إلى الحل أو العلاج للمشكلة المتنازع والمختلف بشأنها"[٣].

من أجل ذلك نجد أن السنة النبوية المشرفة قد رعت هذا العلم اهتماماً بالغاً، ووضعت له قواعد نجاحه وضوابطه؛ حيث هناك العديد من الخصائص والمواصفات التي يجب توفرها في رجل التفاوض المحترف حتى يستطيع أن يقوم بوظيفته التفاوضية خير قيام[٤]. ومن تلك القواعد والضوابط مايلي:

أ. القدرة على التحليل

يكمن تميز المفاوض بقدرته على تحليل المعطيات التي أمامه، والنتائج التي تنساق نتيجة لتفاوضه، وقد برزت هذه الصفة جلية في الصحابي الجليل جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه. فظهرت

---

١. البخاري، الجامع الصحيح، كتاب الأذان، باب فضل صلاة الجماعة، رقم الحديث ٦٤٥.

٢. البخاري، الجامع الصحيح، كتاب الجهاد والسير، باب الرجز في الحرب، رقم الحديث ٣٠٣٤.

٣. محسن أحمد الخضيري، تنمية المهارات التفاوضية، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ١٩٩٣م، ص ١٩-٢٠.

٤. محسن أحمد الخضيري، تنمية المهارات التفاوضية، ص ١٩٥-٢٠٢.

في خطبته أمام النجاشي حسن تحليله للمعطيات، وبدت قدرته على توصيف العبارات من أجل الحصول على الهدف المنشود، من خلال حسن استغلالها، وتسخيره الجيد لها، فيعرض عليه محاسن دعوة الإسلام، وما امتازت به من قيمٍ رفيعة، وأخلاق نبيلة، وكيف كانت المنقذة لهم من فساد الجاهلية، وضلال الكفر، إذ بين له كيف كانوا يعيشون في تخبط وانحراف، ومقابل ذلك يعرض عليه ظلم الكفر وطغيانه المتمثل في قريش ومن شايعها من العرب.

ب. الذكاء والدهاء

من علامات النجاح للمفاوض أن يكون على قدرٍ عالٍ من الذكاء، وحذرٍ شديد في كل أمر يصدر منه، مع تمتع باليقظة الدائمة، والنباهة المستمرة.

لهذا كان النبي صلى الله عليه وسلم ينمي هذه الصفات في من يريد اختياره لهذا الأمر العظيم، فلذا نجد في براعة استهلال حوار الصحابي الجليل جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه مع ملك الحبشة النجاشي بقوله: "أيها الملك"، دلالة ظاهرة على ما يتمتع به سيدنا جعفر رضي الله عنه من ذكاء في التعامل، لما لهذا الخطاب من أثرٍ في السيطرة على النفوس، والاستحواذ على المشاعر.

ج. حسن التصرّف وسرعته

عند التأمل في صنيع سيدنا عثمان بن عفان رضي الله عنه، عند ما أرسله النبي صلى الله عليه وسلم مفاوضاً قريشاً حين أرادت منع النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضي الله عنهم من دخول مكة، وقصد البيت الحرام لأداء العمرة. وإذا بقريش تساومه، فتعرض عليه عرضاً يمثل له ولغيره الشيء الكثير، فتقول له: "إن شئت أن تطوف بالبيت فطف به"، غير أن عثمان رضي الله عنه يجيب القوم بجواب يظهر فيه سرعة بديهته، وحسن تصرفه، فيرفض عرض قريش هذا، ويقول لهم: "ما كنت لأفعل حتى يطوف به رسول الله صلى الله عليه وسلم"[1].

---

١. أحمد بن حنبل، المسند، رقم الحديث ٣٦.

ومن ذلك أيضاً حسن تصرف سيدنا جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه مع النجاشي، إذ طلب منه الأخير أن يعرض عليه شيئاً من أمر الإسلام، وإذا بجعفرٍ رضي الله عنه ينتهز هذه الفرصة، ويتلو على أسماعهم مطلع سورة مريم فبكى النجاشي حتى أخضل لحيته وبكت أساقفته ... ثم قال النجاشي: "إن هذا والله والذي جاء به موسى ليخرج من مشكاةٍ واحدة"[١].

د. الاهتمام بالمظهر

اهتمت السنة النبوية كثيراً بالمظهر الخارجي للإنسان المسلم، لما فيها من إشباع لحاسة الجمال في نفسه، وليكون جميلاً في مظهره، متناسقاً في هندامه، بعيداً عن القذارة والإهمال، يقول الله تعالى: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ﴾[٢].

من أجل ذلك نجد اهتمام النبي صلى الله عليه وسلم في هذا الباب، وتنميته في نفوس الصحابة، فيدعوهم إذا أرادوا إبراد بريد أو إرسال رسولٍ فليكن حسن الإسم، جميل الوجه، ويقول: "إذا أبردتم إلي بريداً فابعثوه حسن الوجه حسن الاسم"[٣].

ويجسد النبي صلى الله عليه وسلم مفهوم تنمية المظهر الجمالي في الرسل والمفاوضين، فيرسل أجمل الصحابة دحية الكلبي رسولاً بكتاب منه صلى الله عليه وسلم إلى هرقل عظيم بُصرى[٤].

---

١. أحمد بن حنبل، المسند، رقم الحديث ١٧٤٠.

٢. سورة الأعراف، ٣١.

٣. أبوبكر أحمد بن عمرو العتكي المعروف بالبزار، مسند البزار، تحقيق، محفوظ عبدالرحمن زين الله، وعادل سعد، وصبري عبدالخالق الشافعي، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، الطبعة الأولى ١٩٨٨-٢٠٠٩م، ج ١٠، ص ٢٧٨، والحديث حسن لشواهده. راجع للتفصيل السلسلة الصحيحة للألباني، ج ٣، ص ١٨٤.

٤. البخاري، الجامع الصحيح، كتاب بدء الوحي، رقم الحديث ٧.

خامساً: تنمية مهارات إدارة الوقت

اهتم الإسلام اهتماماً كبيراً بالوقت، وحثّ على استثماره، وحسن إدارته، ولذا نجد أن النبي صلى الله عليه وسلم قد نبّه إلى أهميته، وعلّم أمته كيفية إدارته، وحسن توظيفه، وأرشدهم إلى استغلاله، حتى لا يقع المؤمن بما لا ينفع من الندم والحسرات، فقال صلى الله عليه وسلم: (نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس؛ الصحة والفراغ)[1].

ومن أهم العوامل المساعدة في إدارة الوقت وحسن تخطيطه التي نوه إليها النبيﷺ، مايلي:

أ. ترتيب الأولويات

فعن ابن عباس رضي الله عنهما: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لمعاذ بن جبل رضي الله عنه حين بعثه إلى اليمن: (إنك ستأتي قوماً أهل كتاب، فإذا جئتهم فادعهم إلى أن يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، فإن هم أطاعوا لك بذلك فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة، فإن هم أطاعوا لك بذلك فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم، فإن هم أطاعوا لك بذلك فإياك وكرائم أموالهم، واتق دعوة المظلوم فإنه ليس بينه وبين الله حجاب)[2].

يظهر من الحديث مجموعة من التعليمات التي وجّهها النبي صلى الله عليه وسلم لسيدنا معاذ رضي الله عنه، منوهاً إياه أهمية العناصر التي يجب عليه أن يبدأ بها في تبليغ الدعوة الربانية،

---

١. البخاري، الجامع الصحيح، كتاب الرقاق، باب ما جاء في الرقاق وأن لا عيش إلا عيش الآخرة، رقم الحديث ٦٤١٢.

٢. البخاري، الجامع الصحيح، كتاب الزكاة، باب أخذ الصدقة من الأغنياء، رقم الحديث ٤٣٤٧.

فيركّز أول ما ركّز في أولويات دعوة أهل اليمن بأن يبدأ معهم ببوابة التوحيد، ومدخل الإسلام الذي لا يصح دخول إنسان إلا بهما، ألا وهما شهادة "لا إله إلا الله، محمد رسول الله"، فإن أجابوه فالصلاة، وإن أجابوه فالزكاة وهكذا.

قال الخطابي: "إن ذكر الصدقة أُخّر عن ذكر الصلاة؛ لأنها إنما تجب على قوم دون قوم، وأنها لا تكرّر تكرار الصلاة فهو حسن، وتمامه أن يقال: بدأ بالأهم فالأهم، وذلك من التلطف في الخطاب. لأنه لو طالبهم بالجميع في أول مرة لم يأمن النفرة"[1]. فعلى الإنسان أن يحدد أولوياته فيبدأ بالأهم فالأهم، ثم الذي يليه أهمية، ليوفر عليه الوقت والمجهود، فلا يضيع أوقاته سدى، من غير فائدة ترجى.

ب. الاستفادة من الأخطاء السابقة

من عناصر التخطيط السليم للوقت التي عنيت بها السنة المشرفة، وصيتها للمسلم أن يستفيد من أخطائه، ويتعلّم من تجاربه السابقة، يقول النبي صلى الله عليه وسلم: **(لا يلدغ المؤمن من جحر واحد مرتين)**[2]، ومعناه أن يكون "المؤمن حازماً حذراً، لا يؤتى من ناحية الغفلة، فيخدع مرة بعد أخرى"[3]، فبقدر حذره واستفادته من تجاربه السابقة يوفر على نفسه أغلى الأوقات وأثمنها، ولا يهدرها بتكرار نفس التجارب غير المجدية.

أهم التوصيات والاقتراحات

- أن توجه الدراسات والبحوث إلى دراسة وتحليل السيرة النبوية واستخراج الأساليب التربوية فيما يخدم الأمة.
- إقامة لجان تهتم بالبرامج الخاصة بالقيادة، وتقوم بوضع خطط لإعداد قادة على مستوى من التربية.

---

١. أحمد بن علي ابن حجر العسقلاني، فتح الباري شرح الجامع الصحيح، رقمه، محمد فؤاد عبدالباقي، وصححه وراجعه، محب الدين الخطيب، دار المعرفة، بيروت، ١٣٧٩هـ، ج ٣، ص ٣٥٩.

٢. البخاري، الجامع الصحيح، كتاب الأدب، باب لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين، رقم الحديث ٦١٣٣.

٣. ابن حجر، فتح الباري، ج ١٠، ص ٥٣٠.

- أوصي طلبة العلم والباحثين بتعميق الدراسات الموضوعية في السنة النبوية، سيما طرح المواضيع المستحدثة، لما تحمله من أصالة وتجديد في آن واحد.
- إنشاء مراكز متخصصة بخبراء ومدربين إسلاميين في جانب التنمية البشرية، للنهوض بقدرات شباب الأمة.
- إنشاء مراكز تدريبية تهتم بالتنمية البشرية، مستقاة مناهجها من السنة النبوية لشمولها جميع جوانب الحياة.
- التأصيل الشامل المفسر لقضية التنمية البشرية عند الرسول صلى الله عليه وسلم من خلال رسائل علمية في هذا الصدد.
- توضيح أن الرسالة المحمدية هي المنهج الأقوم للحياة الفاضلة التي تحقق السعادة لبني الإنسان.
- يجب أن يُدرك الشباب أهميتهم في مجتمعاتهم، وأن يمكّنوا من القيام بدورهم ومسؤولياتهم.
- لابد من اتخاذ وسائل واقعية وفعالة في سبيل تنمية مهارات القيادة والإدارة عند أفراد المجتمع.